الأستاذ إبراهيم فقيه

حرب غزة 7 تشرين 2023

لا تُفشلوا السابع من تشرين الفلسطيني كما أفشلتم السابع عشر من تشرين اللبناني... كبرق البصر حصل ما حصل في السابع من تشرين الأول لعام 2023، بلمعة باهرة مبهرة قفز مقاتلو حماس الأشاوس من قطاع غزة المحاصر الى مستوطنات غلاف غزة المحتل من العدو الإسرائيلي، وبسرعة فائقة قتلوا جنوداً إسرائيليين حاولوا مقاومتهم، واعتقلوا عشرات الجنود الصهاينة ومستوطنين لا يختلفون عن باقي جنود العدو.

كالحلم الجميل مرّ ذلك بسرعة فائقة جالباً كمية هائلة من الفرح والسعادة والتعجب بعد طول انتظار، بعدما حملوا معهم كماً من داتا المخابرات الصهيونية كالفرح الآتي مع الموج الهادر خلف البحار.

يُذكّرني بالفرح القادم من خلف قُضبان سجن الخيام في الخامس والعشرين من أيار 2000، شُهبٌ مضاءة، ونجومٌ ثاقبة نزلت على ثكنات العدو ومستوطناته عجزت أفلام هوليود عن إخراجه أو تصويره قبل سبعة تشرين... ولكننا نحن في الجنوب اللبناني كنا نتخيله ونتصوره حاصلاً في الجليل شمالي فلسطين المحتلة على أيدي أشاوس المقاومة الاسلامية.

إنتظرناهم جنوب لبنان، فكانت البداية من جنوب فلسطين، لا بأس أن يظهر الأمل وأن نتمكن من الفرح، وأن نستعيد رفع الرؤوس كما حصل في العام 2000 و2006 على يد رجال الله وبيئتهم الحاضنة على إمتداد نصف مساحة الوطن.

السابع من تشرين يوم فلسطيني بإمتياز على أيدي مقاتلي عز الدين القسام، كما كان الخامس و العشرون من أيار يوم لبناني بإمتياز على أيدي المقاومة الاسلامية.

وفي الثامن من تشرين دخلت المقاومة في لبنان الحرب بما يسمى "ضمن قواعد الاشتباك" بينها وبين العدو الاسرائيلي، ونتيجة مفاجأة فرسان القسام خلت مستوطنات ما يسمى بغلاف غزة، من المستوطنين، ونتيجة ضربات المقاومة على مستوطنات شمال فلسطين خلت هذه المستوطنات من مستوطنيها، واضطر العدو لحشد ما يقارب نصف قوته العسكرية على الحدود الشمالية خوفاً من قوة المقاومة التي يحسب لها العدو ألف حساب.

وجاء الرئيس الأمريكي بايدن على عجل الى تل أبيب لوضع إمكانيات بلاده بتصرف ربيبته اسرائيل(أساطيل وترسانة أسلحة)، وتبعه الرئيس الفرنسي لإسترضاء الصهاينة، وتبعهما رئيس وزراء بريطانيا... وتتالت المواقف الأوروبية المؤيدة لاسرائيل، دون أن نستثني أكثرية الزعماء العرب الذين أدانوا حركة حماس... والباقي من العرب خاف أن ينطق بكلمة حق واحدة، وافتقدت مصر ونيلها وفراعنتها لذلك الرجل العظيم "جمال عبد الناصر"، وما عادت بغداد تصرخ "وا معتصماه" ، والعراق لا زال يترنّح من وطأة الإحتلال الأمريكي. وسوريا لا زالت تئن من جراحها المثخنة التي كبدتها إياها داعش من خلال الوجه الآخر للحرب العالمية التي تعرضت لها، والتي تمثل الوجه الآخر لإسرائيل.

والشعوب العربية نائمة في سبات عميق، قسم منها خدرته الفاقة والعوز، وقسم يئن من ظلم حاكميه، والباقي نسي ما كنا نسميها القضية... واستمرت الحرب على غزة.

إثنا عشر ألف شهيد ونيّف(عندما بدأت كتابة هذا المقال)، أكثريتهم من الأطفال و النساء، كأنهم أرقام للعدد وليس بإعتبارهم أناساً يمتلكون مشاعر وأحاسيس ويحملون قضية عالية جداً، إجتذبت هذه القضية المركزية مئات آلاف القتلى والجرحى والمعاقين ولا زالت... أما البيوت المدمرة على رؤوس أصحابها فلا تُعد ولا تحصى، وعائلات امّحت من سجلات النفوس، ومستشفيات مدمرة بصواريخ طائرات العدو، ومثلها المدارس والمساجد والكنائس... والعالم بأسره، حتى العربي يتفرج كأنه يتابع مسرحية مسلّية ، والكثير منهم يشارك العدو في دعمه على كل المستويات ... ويتلذذون برؤية الأطفال غارقين في دمائهم... أما مُدّعوا الحضارة والإنسانية في الغرب، سواء في أمريكا أو أوروبا، فإن حرب الإبادة على غزة وفلسطين نزعت صفة الإنسان والثقافة والأخلاق عنهم وباتت حضارتهم الفارغة من مضمون

الحضارة، وتبين أن مصالح الدول الكبرى تتخطى كل المفاهيم الانسانية وتتجاوز كل الشعارات البرّاقة .

إن كل يوم من أيام حرب الإبادة على غزة يذكّر بأفظع المجازر التي شهدها العالم عبر التاريخ.

ولعلّ الحروب التي شهدها العالم عبر مئات السنين بما فيها الحربين العالميتين ، كانت تقع بين دول وجيوش نظامية، أما هذه الحرب فهي بين دولة لقيطة مدعومة من أكبر دول العالم وأكثرها ضد شعب أعزل مهجّر ومحاصر لا يمتلك من مقومات الحياة إلا الحد الأدنى المتوافر لأفقر الشعوب، وإذا كانت مقاومته الباسلة تمتلك الى جانب الحق والإرادة بعض الأسلحة الخفيفة المصنعة محلياً، فإن العدو الصهيوني يمتلك ترسانات من الأسلحة الحديثة التي تمتلكها الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها من الدول الاوروبية ، من أحدث التكنولوجيا الى الغواصات وحاملات الطائرات التي وصلت بسرعة فائقة الى البحر الأبيض المتوسط.

ولعلّ أهم ما يمتلكه العدو الاسرائيلي الجبان والمحبط في آن هو الصمت العربي الرهيب، وتأييد الأنظمة العربية الغاطسة الى أذنيها في التطبيع مع دولة الإحتلال . هؤلاء العربان الذين يساعدون اسرائيل في السر والعلن، ربما يتمنون هزيمة المقاومة أكثر من بعض الدول الغربية ، ويعملون منذ زمن طويل على إنهائها.

كل طفل ضحية من حوالي خمسة آلاف طفل قتلهم العدو الصهيوني ، موته وصمة عار في وجه الإنسانية. وأشلاء كل إمرأة من حوالي أربعة آلاف إمرأة قُتلت بالطائرات الأمريكية الصنع والأسلحة الفتاكة تمحو كل ما إدعاه الغرب من علم وحضارة ورقي وإنسانية,,, والأصعب من ذلك فلا جرأة عند ملوك وأمراء العرب وحكامهم لقول كلمة حق واحدة، يخافون من سيدتهم الولايات المتحدة الأمريكية أن يصفوا هذه الحرب بأنها حرب إبادة على شعب لازال يتعرّض للجرائم منذ خمس وسبعون عام، فلا الجاهلية عرفت هذا الخنوع ، ولا العصور الوسطى عرفت هذا التمادي في الظلم والقهر لشعب مقهور، على مدى سبعة عقود ونيّف، بعدما هُجّرَ وطُرد من أرضه، ولم يكتف العدو بشن غاراته الوحشية على قطاع غزة، حيث لم تسلم الضفة الغربية بمدنها ومجتمعاتها من همجية العدو الذي يدمّر البنى التحتية، ويكثّف من

اعتقالاته وقتله لمئات الفلسطينيين في مدن الضفة ومخيماتها، وكأنه لم يكتف بتدمير مستشفيات غزة ومدارسها ومساجدها وكنائسها ودور الحضانة فيها، إضافة الى المجمعات السكنية على مساحات شاسعة يحولها الى صحارى خالية من الحياة ، وما مشهد الأطفال الرضّع حديثي الولادة الذين أخرجوهم من أسرتهم وغرفهم لفقدان مادة الأوكسيجين، أكثرهم لا تتجاوز أعمارهم أياماً معدودة مرميون كلعب الأطفال، منهم من قضى ومنهم من يصرخ من البرد والجوع ،ومنهم من يرتجف من فقدان حنان الأم التي ربما رحلت الى العالم الآخر بعد أن وضعته جنيناً لا ذنب له إلا أنه فلسطيني ، ذكرتني بمكانة ذلك الطفل الفلسطيني الذي سُئل ماذا ستدرس عندما تكبر فأجاب نحن لا نكبر لأننا نُقتل قبل أن نكبر...

أكثر من أربعين يوماً مرّت على السابع من تشرين المجيد(عندما كتبت المقال)، بعده إنقضّ غضب " العالم الحر" بل العالم المتوحش على غزة بما يعادل ثلاثة قنابل نووية ، والعين العربية غافية عما يجري ، حيث لم تتداعَ الدول العربية والاسلامية إلا بعد خمس وثلاثين يوماً على بداية العدوان، حتى الشعوب العربية بالكاد عبّر القليل منهم عن غضبهم بمظاهرات خجولة.

إن الأمل الوحيد الذي رأينا من خلاله بصيص نور منتظر بدور المقاومة الإسلامية في لبنان الى جانب كتائب عز الدين القسام بالمستوى المتقدم على مقارعة هذا العدو المدعوم من قوى الشر في العالم.

وتكملة لهذا الأمل يأتي دور الشارع الغربي خاصة في أوروبا وأمريكا، بعد أن تبين له من خلال معرفته بالمجازر المرتكبة بحق الفلسطينيين في سجنهم الأكبر في غزة أو الضفة الغربية، كذلك العدوان على الجنوب اللبناني الذي لولا وجود المقاومة اللبنانية الرادعة للعدوان الاسرائيلي لتماثل بغزة. فالرأي العام في أوروبا لا يزال يؤثر على القيادات السياسية وحكام تلك الدول. ولكن مصالح قوى الأمبريالية تطغي على كل ما عداها ، لذلك فإن كل الجرائم التي يرتكبها العدو الصهيوني وحرب الإبادة على الشعب الفلسطيني وقتل الاطفال والنساء بالعشرات والمئات يومياً، وهدم المباني على رؤوس ساكنيها بأحدث الأسلحة الأمريكية والأوروبية ، وهدم المستشفيات و المدارس والمعابد... لم يحرّك ساكناً في مسار

تلك الدول التي تدّعي الحضارة والتقدّم، وتدّعي إحترام حقوق الإنسان ، لقد سقط القناع الذي ارتداه الغرب نهائياً لمئات السنين، وهو يكذب على المجتمعات، لابل على شعوب العالم الثالث، فهو يكيل بمكيالين كما يقال، وقد صدق الشاعر سليمان العيسى بقوله:

قتل امرئ في غابة جريمة لاتغتفر

وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

وكأن منظر الأطفال حديثي الولادة وهم يفترشون الأرض بعد أن فقد الأوكسيجين من غرفهم يبكون ويصرخون جوعاً وبرداً، ويموتون الواحد تلو الآخر ولا أحد يستطيع أن يفعل لهم شيئاً لأن جنود العدو رموهم أرضاً بعد أن سيطروا على المستشفى،. كان هذا الذي شاهده ملايين البشر هو عبارة عن ألعاب بشكل أطفال .

وفي الجنوب اللبناني الذي أكمل اليوم الثالث بعد الأربعين من الحرب مع العدو الصهيوني ، قدّم على طريق القدس شهادة العشرات من المقاومين وعشرات المدنيين والصحافيين الذين تعمد العدو قتلهم حتى لا ينقلوا الصورة الحقيقية لوحشيته وعنصريته وجنونه الناتج عن هزيمته وكسر صورته الكاذبة بأنه الجيش الذي لايقهر ، حيث قهرته وكسرته مجموعة مؤمنة بقضيتها، ولم ولن تمكنه من القضاء عليها بالرغم من كل الدعم الحاصل عليه من أميركا وحلفائها من الدول الغربية ، والسكوت العربي المريب...

أما في الجنوب اللبناني وبالرغم من القصف الصهيوني المتواصل على القرى المتاخمة لحدود فلسطين المحتلة ، وبالرغم من التهجير القسري لعدد كبير من أهالي القرى نتيجة جنون حكومة الحرب الاسرائيلية. فإن الصمود الذي تعوّد عليه واتصف به الجنوبيون هو السائد بالرغم من أن العدو يقصف القرى ويدمر البيوت على رأس ساكنيها بطائراته ومدفعيته ومسيراته... ويجن جنون العدو عندما تتمكن المقاومة اللبنانية من إنزال خسائر بشرية كبيرة بين جنوده وأجهزة إتصالاته وثكناته ومواقعه العسكرية المحصنّة ... حتى أن هذا العدو بحماقته وعنصريته وهمجيته لم يستطع أن يتقبل دور الصحافة والإعلام في متابعة الحدث، فقتل في البداية الصحافي عصام العبدالله وأصاب زملاءه بجراح بليغة ، ثم تعمّد قتل

الصحافية فرح عمر و المصور ربيع المعماري بعد أن لم ترتو الأرض بدماء البدور الثلاثة من الصبايا (ريماس ودالين وليان أيوب) وجدتهم على طريق عيناتا.

ولما انقضى شهر ونصف الشهر على حرب الإبادة على غزة وفلسطين وجنوب لبنان، ولم يتمكن العدو من تحقيق أي إنجاز عسكري في الميدان، تداعى عدد من الدول للعمل على وقف إطلاق النار أو هدنة إنسانية كما يحلو لهم أن يسمونها، لأن العدو الاسرائيلي لم يعتبر من كل الحروب التي خاضها، ولم يتّعض أو يفهم حق الشعوب في الحياة، فاسترسل في وحشيته، و

تعود الى الذاكرة مقولة الإمام السيد موسى الصدر عنه " اسرائيل شر مطلق" وهي غدة سرطانية في الجسم العربي لذا يجب إستئصالها. فهذا العدو لايقبل بدولة فلسطينية مستقلة، لذا الحل الأساسي في زوال الكيان الصهيوني وإعادة إحياء الدولة الفلسطينية الواحدة لأهلها الفلسطينيين من كل الأديان الاسلامية والمسيحية واليهودية والعلمانية ، أي كما كانت فلسطين قبل العام 1948 ، وأن شعباً مؤمناً بقضيته لابد إلا أن ينتصر وما ضاع حق وراءه مطالب...

أنهيت كتابة هذا المقال ولا تزال حرب غزة مستمرة وبوتيرة وحشية، وقتل لامثيل له في تاريخ البشرية.